Université
Aboubekr Belkaïd
Tlemcen

جامعة أبو بكر بلقايد

محاضرات مقياس انتربولوجية اشكال التعبير الشعبي

الدكتورة بكوش المولودة قشيوش نصيرة

جامعة تلمسان

Mars 2020

المحاضرة الاولى

الامثال الشعبية

مقدمة

لا تكاد تخلو امة من الأمم من الامثال الشعبية والتي تتميز بانها مرآة الشعوب، انها تدل على عقلية الشعب وتعكس اتجاهاته واخلاقه وتقاليده وحياته الاجتماعية

والمثل نتاج قريحة الجماعة وعصارة خبرتها وتجاربها في الحياة وهو شديد الالتصاق بحياة الانسان في جميع حالاتها البسيطة والمعقدة اذ يلتصق بحياة الافراد وسلوكاتهم في المحيط الاجتماعي ضمن البيئة الواحدة. ويتحدث المثل عن مشاكل الانسان من حيث هو انسان ويرصد تناقضات هذه الحياة خيرها وشرها كبيرها وصغيرها.

تعريف المثل الشعبي ومميزاته:

ومن بين تعاريف المثل تعريف العالم سوكولوف الذي يرى بانه جملة قصيرة صورها شائعة، تجري سهلة في لغة كل يوم اسلوبها مجازي وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية. وتعريف علماء العرب القدامى الذين يرون بان المثل هو نوع من أنواع الاذب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطيف التشبيه وجودة الكناية.[1]

[1]احمد بن نعمان سمات الشخصية الجزائرية، ص 330

نتج المثل الشعبي نتيجة لتكرار المواقف او الحوادث نفسها وفي هذا الصدد يقول محمد الرميحي: "المثل قول جرى في موقف معين حقيقي او متخيل، تعبيرا عن حادثة ما لشخص او اكثر...فاذا تكرر مثل هذا الموقف ذكر القول السابق لما بين القولين من تشابه."[2]

وعلى الرغم من صغر ولطافة جسمه، فانه يفتح امام الباحثين ابوابا متعددة، تمكنهم من سبر اغوار مواضيع متعددة ومتنوعة، تساهم قي اثراء التراث الشعبي.

وهو خلاصة وتجارب كل قوم ومحصول خبرتهم، وهو ضرب من ضروب التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية وهو بذلك يختلف عن الشعر الذي يعد الخيال عنصرا أساسيا فيه كما انه يتميز عن غيره من أنماط التعبير بالإيجاز ولطف الكناية وجمال البلاغة.

ويقول مالنفسكي الانتروبولوجي : انه من الخطأ ان ينظر الى الامثال على انها شكل من اشكال الفلكلور، او مستند اوتوغرافي خاص بأحوال الشعب، بل هي حكم وقصص، وانتقاد لاذع للحياة، وتعبير شعبي يعكس الخلفية التاريخية، وخبرة الانسان التي اكتسبها من خلال ممارسة الحياة نفسها.

والامثال الشعبية هي تسجيل قولي كلامي في جمل قصيرة لبعض ما مر بالإنسان من احداث استخلص منها مآثر ومواعظ. فقل ان تجد مثلا لا يحمل معه الشرح الكاشف لمجرى احداث القصة، وما كان من اشخاصها. فهي تكشف بدلالتها على فعل الانسان اذا فقد قيمته الإيجابية في الحياة تحول الى انتقاص من قيمة الانسان نفسه صاحب هذا الفعل. والذي ابى الشعب ان يهمل او

---

[2] محمدالرميحي، المثل الشعبي ، مجلة العربي، العدد318، مجلة ثقافية شهرية ، الكويت ،1991،ص 9

ينسى هذه الاحداث فسجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية جيلا بعد جيل، وعصرا بعد عصر، مما جعل الامثال تأخذ جانبا خاصا من ألوان فن القول[3].

وظائف المثل الشعبي:

- **الوظيفة التعليمية:** الامثال هي قواعد تعليمية مستحسنة ومقبولة فقد تتعامل مع المناخ والصحة وقواعد الاخلاق وغيرها من مجالات الحياة. والطابع التعليمي هنا الذي يكون مباشرا في اغلب الأحيان يدل على ان المثل ابتكار تصنعه العبقرية الشعبية، وانه يثبت أكثر مما تثبت الأنواع الأدبية الأخرى. والطابع التعليمي الأخلاقي هو السبب في ذيوع الامثال في سائر الانحاء.
- **الوظيفة الثقافية والاجتماعية:** يعكس المثل الشعبي القيم واهتمامات الجماعة كما انه يعمل على نقل تلك القيم والاتجاهات منجيل لآخر، ومن ثم يساهم في استمرار وتواصل الثقافة. ومن القيم الاجتماعية التي يعكسها المثل الشعبي قيم الاختيار الزواجي، وهو سلوك يمارس لاختيار الشريك وتختلف هذه العملية تبعا للثقافة الموجودة وتبعا للمعايير السائدة وتبعا للطبقة التي ينتمي اليها العروسان.
- **الوظيفة النفسية:** يعمل المثل الشعبي على مد الافراد بقدر كبير من الراحة النفسية حيث يعمل على تخليصهم من الضغوط التي يفرضها المجتمع على أعضائه كما انه يتيح الفرصة لهم للحديث عن الأنماط السلوكية التي يحظر عليهم الخوض فيها، كما انه يعكس نظراتهم الى بعض الأشخاص او المواقف، ومن ثم يحقق قدرا كبيرا من الراحة النفسية للأعضاء.

---

[3] حسين عبد الحميد احمد رشوان المرجع السابق ص 31

-**الامثال الشعبية والضبط الاجتماعي:** تلعب الامثال الشعبية دورا مهما في تحقيق الضبط الاجتماعي حيث انها تستخدم للتعبير عن الأشياء المقبولة وغير المقبولة في المجتمع كما تعمل على استحسان او استهجان نمط سلوكي معين لدى افراد الاسرة او الجماعة.

- وارتبط المثل الشعبي بعدة مواضيع وسنركز في هذه الدراسة على موضوع صورة المرأة في المثل الشعبي.

المحاضرة الثانية

قراءة انتربولوجية لصورة المرأة في المثل الشعبي

تزخر الذاكرة الشعبية بالعديد من الأحكام والقواعد التي تعتبر المرأة مصدرا للمكر، والحيلة والخداع، والأفعال السيئة، وارتكاب المعاصي وغيرها [4].

وقد تمثلت هذه الأخيرة في أمثال شعبية جاءت لتنبه الرجل حتى يكون شديد الحذر واليقظة في التعامل معها، ولعل من أشهر أقوالهم:

- "ظاهر المرا جنة وباطنها جهنم"[5].
- "لمرا نار إلا غفلت تحرقك"[6].
- "كل مرا ومجمرة"[7].
- "المرا لفعى"[8].

---

[4] ارتباط المرأة بالشيطان يعود إلى الأسطورة القديمة التي نسبت إلى حواء سبب خروج آدم من الجنة، وهذا ما أشار إليه سفر التكوين (التوراة) وهو ما يستخلص أيضا من المثل الأول الذي شبه طبيعة المرأة بالجنة وغضبها بالنار.

وللتوسع في هذا الموضوع أنظر مثلا: سعد جلال: علم النفس الاجتماعي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1984، ص 37-38.

[5] مثل متردد في منطقة تلمسان.

[6] مثل متردد في منطقة تلمسان.

[7] مثل متردد في منطقة تلمسان.

[8] مثل متردد في منطقة تلمسان.

مضمون هذه الأمثال يتمثل في وجوب تسلح الرجل بالحذر والتجنب من خبايا المرأة، فهي جميلة، دعوبة ولينة تستهوي الرجل، لكن بداخلها حيل ومكر، وخصوصا إذا ما عزمت على انتقام وهذا ما يؤكده المثل القائل:

- "إلا حلف فيك الرجال بات راقد وإلا حلف فيك النسا بان قاعد"[9].
- وقد أكد هذا المثل أيضا الشيخ عبد الرحمن مجدوب في قوله عن كيد النساء:
- كيد النسا كيدين ومن كيدهم با حزوني
- راكبة على ظهر السبع وتقول الحد يا كلوني[10].

ومعنى هذا أن المرأة تتحيز للانتقام فلا تجهر به جهر الرجل، مما يصعب على هذا الأخير أن يتجنب مكرها، فهي لضعفها تلجأ إلى الحيلة أكثر مما تلجأ إلى المواجهة المباشرة في الانتقام [11]، لذلك كان انتقامها شبيها في المثل السابق، بلسعة الأفعى الناعمة.

فقوة المرأة حسب هذين المثلين تكون في طريق الخدعة التي تعتمد عليها عند شروعها في الدفاع عن نفسها.

ومن المعروف أن سلاح الخدعة لا يكون عادة سلاح القوي المعتد به نفسه، وإنما يكون السلاح الضعيف، ونظرا إلى أن المرأة تشعر حسب هذين المثلين في مجتمعنا بالاضطهاد، فإنها لا تجد وسيلة أخرى تدافع بها عن نفسها سوى الخديعة والمكر أمام غطرسة الرجل، وهذا التصرف يكون فيما يرى العقاد: "إلى طبيعة في الأنوثة تلتزمها في كل مجتمع، ولا تفرضه عليها الآداب

---

[9] مثل متردد في منطقة تلمسان.

[10] ديوان سيدي عبد الرحمان مجدوب، دار إحياء العلوم، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص 7.

[11] نور الدين طوالبي، إشكالية المقدس، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص 107.

والشرائع، ولا يفارقها باختيارها أو بغير اختيارها ... فمن أصول هذا الرياء في تكوين الأنثى أنها مجبولة على التناقض بلين شعورها بغريزة حب البقاء، وشعورها بغريزتها النوعية ... وأنها مجبولة كذلك على التناقض بين شعورها بالشخصية الفردية وشعورها بالحب والعلاقة الزوجية"[12].

كما يبدو من هذه الأحكام التي جاءت بها هذه الأمثال، فإنها لا تخلو من المبالغة والاستبداد بالرأي والغلو في إساءة الظن بالمرأة ولكنها تعكس نوعا من الاعتقادات الموجودة عند بعض أفراد المجتمع العربي عامة والجزائري خاصة. وتحتل المرأة ذات الصفات السيئة الحيز الأكبر في التعابير الشعبية عامة وفي المثل الشعبي خاصة. وقد توصلنا من خلال التحليل الى انه خطاب ذكوري يعكس الهيمنة الذكورية وإيديولوجية رفض الانثى وهي كلها نابعة من فلسفة الوجود البشري ومن عمق التاريخ الإنساني.

لقد كانت المرأة موضوع كل فن حتى أن الشعراء والفلاسفة اعتنوا كثيرا بها وجعلوا منها مثلا للؤم والغدر كأفلاطون وغيره. ولعل هذا ما أثار حفيظة أبو القاسم الشابي الذي انبرى مدافعا عن المرأة في قوله: "هاته الفكرة الجائرة، التي كانت تستحوذ على أدمغة العالم العربي كله، من أن المرأة مثل الغدر واللؤم، وخساسة الطبع، وحطة النفس، وخبث الضمير، فإن الفكر الذي يعتقد

---

(12) عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة: الإسلاميات، المجلد الثامن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1975، ص 24.

وللتوسع أيضا أنظر: قاسم أمين: تحرير المرأة، موفم للنشر الجزائر 1990ص 117-123.

مثل هذا في المرأة لا يمكنه بحال أن يبصر ما وراء جسدها من حياة عذبة ساحرة وعالم شعري جميل"[13].

كما ان عبد الرحمان مجدوب بعدما انتقد المرأة انتقادا لاذعا عاد فأدرك ما وراء هذا الكائن من حياة عذبة وساحرة ومليئة بالنجاح. فاستسلم للمرأة وأعلن حبه لها قائلا

"حديث النسا يونس ويعلم الفهامة."

ويقول ايضا

حبيبي الا غضب ما صبت له طب بعد المحبة جفاني

نجيب القهوة ونصب ونحدثه بالمعاني

ونستخلص من هذا المثل ان المرأة هي خير اليف وانيس للرجل فمعها تطيب الحياة وتسعد وهي رمز الحياة والتطور والحضارة وهذا ما أكده نابليون بقوله: "إن اليد التي تهز المهد هي اليد التي تهز العالم" قصد بذلك أن المرأة هي قاعدة المجتمع وركيزته وليس الرجل.

قائمة المصادر والمراجع

.

1. سعد جلال: علم النفس الاجتماعي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1984،
2. ديوان سيدي عبد الرحمان مجدوب، دار إحياء العلوم، الدار البيضاء، المغرب.
3. نور الدين طوالبي، إشكالية المقدس، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .

[13] أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر، د.ت، ص 75.

4. عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة: الإسلاميات، المجلد الثامن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1975.

5. قاسم أمين: تحرير المرأة، موفم للنشر الجزائر 1990

6. أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر

المحاضرة الثالثة

الاغنية الشعبية

مقدمة:

واكب الغناء الانسان منذ القديم، ولازمه حتى قبل ان يتكلم حيث كان يقلد اغاريد الطيور وهمسات الغابات، وخرير المياه وامواج البحر، وغيرها من الاصوات. كما استطاع ان يصنع بعض الآلات الموسيقية البسيطة من القصب والشجر، وجلود الحيوانات المشدودة على الفخار، او جذوع الشجر المفرغة. التي تحدث موسيقى تصاحب الغناء.

أوّلا: تعريف الأغنية الشعبية:

نقصدُ بالأغنية الشعبية، تلك المقطوعات الشعرية التي تُغنّى بمصاحبة الموسيقى في أغلب الأحيان، والتي توجدُ في المجتمعات التي تتناقل آدابها عن طريق الرّواية الشفاهية من غير حاجة إلى تدوين أو طباعة. وهذا يعني أن الأغنية الشعبية، أغنية يتمّ حفظ ألفاظها وكلماتها دُون كتابتها في معظم الأحيان.[14] والأغنية الشعبية هي جزء من الثقافة الشعبية، ويعرّف ألكزاندر كراب

[14] – فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التّراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص 170.

الأغنية الفلكلورية بأنّها أ أغنية أو قصيدة غنائية محلية ، ظهرت بين ناس أميين في الأزمات الماضية ولبثتْ تجري في الاستعمال لفترة ملحوظة من الزّمن هي فترة قرون متوالية في العادة[15]

ثانيا: مميزات ووظائف الاغنية الشعبية:

تتميز الاغنية الشعبية بكونها جماعية، بمعنى ان أي شخص يستطيع ان يشترك في أداء الاغنية وهذا قد لا يتاح بالنسبة للمستوى الارقى في الأغاني. كما تتميز بكونها مجهولة النشأة، وهذا يعني عدم معرفة مؤلف الاغنية ومن وجهة نظرنا ان جهلنا بمعرفة المؤلف لا يعني مطلقا عدم وجود مؤلف للأغنية الشعبية.

ويرى الانثربولوجيون ان الاغنية الشعبية وسيلة تعليمية بجانب وظيفة الترويج عن النفس، فهي كثيرا ما تتناول القيم الثقافية والانماط السلوكية والمعايير الثقافية المختلفة.

قراءة انتربولوجية للأهزوجة النسوية "أغنية الصّفّ الخاصة بالثورة انموذجا، التحليل والوظيفة

تعتبر الأغنية الشعبية ابّان الثورة التحريرية من أخصب وأروع فترات التاريخ في منطقة تلمسان، حيث كانت مرآة صادقة عكست الدّور الفعّال في بثّ الرّوح واليقظة والثّقة في نفوس

---

[15] – المرجع نفسه (نقلا عن ألكزاندر هجرتى كراب، علم الفلكلور، تر صالح رشدي، الكتاب العربي للطّباعة والنشر، 1967، ص 253).

الشعب. فكانت تزرع فيهم روح الشجاعة والحماس ليستعدّوا للثورة ويحاربوا الأعداء ليسترجعوا أملاكم وخيراتهم وهويتهم.

لقد جاءت الأهزوجة النسوية "أغنية الصّف" كإعداد نفسي تهيّئ الشعب للجهاد والنّضال. فعندما يسمع أبناء الوطن هذه الأبيات بكلماتها القوية المؤثرة والجميلة المعتبرة، والتي تعزفها أوتار البندير يقف صامدًا، متأهبًا مستعدًا لحمل السّلاح والخروج للقتال. زيادة على ذلك هناك أدوار ووظائف أخرى تؤدّيها الأغنية الشعبية الخاصّة بالثورة سنكشف عنها أثناء تحليلنا لبعض النّماذج التي انتقيناها لهذه الدراسة.

أولا: نماذج عن الثورة التحريرية:

1. أبسْمَلَّـــهِ أَبَسِمَلَّـــهْ والنّبي وصَّى عْليهْ اللَّـــهْ
2. اتّقَدّْمُو يا البنات سَميوْ اللَّـــهْ الغِيوانْ ربّي والنَّبي خــلاّهْ
3. اتحدُوا يا البناتْ وقلوُا بسم اللّهْ علَى المُجَاهدْ نوصيوْ عليه اللّهْ
4. إلاَ خُصُّ الباروذْ أنَا نشريــهْ يالوغشْ أتحزمــوا بيـهْ
5. ألبسْ اللّبسَ واحملْ الســلاحْ شقّْ الجبلْ يحاربْ على الوطنْ
6. أنوّري ال الغابــة نــوّري أنوّْري ودرْقي المُجاهديــن
7. ياللّهْ نمْشيـوْ لجبلْ لوريـسْ أنعلّمكْ الحرْبْ والسّرْبيـسْ
8. لجيبْ جاتِ وْسَركْلت الـدّارْ كيندِيرْ أخُويا مْعَ الكُومَندارْ
9. أسفيرْ فْرَنْسـا واشْ بغيـتْ المّخيّرْ فالبلادْ راك أدّيتْ

ثانيا: تحليل الأبيات:

تدلّ الأبيات الثلاثة الأولى على الاستهلال. وذلك بالصّلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. والاستهلال شائع في كلّ الأغاني الفلكلورية، وهو تلك المقدّمة الافتتاحية التي تكادُ تكون حاضرة في كلّ النّصوص الشعرية وهي تشبه ذكر الأطلال في القصيدة لعربية القديمة.

أمّا البيت الرّابع:

إلا خَصْ البَارَودْ أَنَا نشريهْ يَا الوَغَشْ أَتْحزْمُوا بيهْ

يدلُّ على مشاركة المرأة في الثورة التّحريرية والدّليل على ذَلك "إلاَ خُصْ البَارُودْ أنَا نَشْريهْ أيْ أنّها تَريدْ تَدْعيمْ الشُبَّانْ " الوَغَشْ" بالسّلاحْ " البَارودْ".

ولا ننْسَ انّ المرأة كان لها دخل فردي تتحصَّلْ عليه من خلال بيع بعض الأواني الفخّارية أو الحلفاوية، أومن خلال بيْع البيض أو الطّيور التي كانت تقوم بتربيتها. كما اقتضى الأمر في بعض الأحيان انها كانت تبيع حليها لشراء الأكل والملبس والسّلاح للمجاهدبن.

كما نجد هذا البيت يبثُّ في المجاهدين الشجاعة ويُرغّب في الاستشهاد فهو بمثابة إعداد نفسي لهم يهيّئهم لحمل السّلاح والخروج للجهاد.

وفي البيت الخامس والسّادس:

أَلْبس اللّبْسا وحْمَلْ السْلاَحْ* شَقْ الجْبَلْ يْحَاربْ على الوطَنْ

أَنَوْري يَا الغَابة نَوْري * أنَوْري ودرْ في المُجاهْدينْ

يتّضح لنا من خلال قراء ة هذبن البيتين أنّ الجندي يجب ان يحمل السلاح ويلبس لباس خاص بالمجاهدين للنّزول إلى ساحة الوغى. ومن خلال تردّد كلمة جبل (في البيتين) نلاحظ أنّ الجبل يحتَلُّ مكانة مهمّة في حياة الثوّار بحيث اتخذوا منها حصنا منيعا في المقاومة. كما أنّ للجبل"

المكان المرتفع" مكانة مقدّسة منذ القدم، حيث أنّ سيّدنا نوح عليه السّلام لمّا دعًا ابنه ليصحبه معه في السّفينة قالً: سَاوى إلى جبل يعصمني من الماء، وأيضا، لما طلب سيّدُنا موسى من ربّه المكاشفة قال: أنظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني.

وقد يتّضح لنا أيضا من البيت أنوّري يا الغابة نوري خوف المرأة على المجاهدين من سقوطهم في أيدي الفرنسين لذلك فهي تترجّى غابة الجبل أن تُزهر وتُثمرَ حتّى تحمي الجُنود من الاستعمار.

وفي البيتين:

لَجيبْ جاتْ وْسرْ كْلَتْ الدَّار* كبنْديرْ أَخُو يَا مْعَ الكُومَنْدَارْ

رِيشْ التّحْريرْ فَاتْ علَيَّ * مْسَلَّحْ ومْعَاهْ البَيَّعَهْ

إشارة إلى أنّ المرأة شاركت في الثورة وذلك من خلال إخفاء أخيها أو زوجها وإبنها في مكان سريّ وكان يُعرَف أنداك "بالمَطمورة" وهي حفرة كانت مخصّصة "للعوْلَة" أي لتدخيرْ الدّقيق والحبوب.

كما نستشف أيضًا من خلال البيتين أنّ المرأة كانت تخاف عندما يُفاجئها الجيش الفرنسي ومعه بعض الخونة للبحث عن المجاهدين في بيتها، ومع ذلك كانت تعمل كلّ ما في وَسْعها من أجل إخْفائهم وحمايتهمْ.

ونختم هذا التّحليل بالبيت الاخير من القصيدة"

أَسْفيرْ أفْرانْسَا وَاشْ بْغيتْ * المْخَيَّرْ فالبلادْ رَاكْ أَدّيتْ

يحمل هذا البيت خطابا نسويًّا مُوجّهًا لسَفيرْ فرنسا، يلومه ويعاتبه على أفعاله الشنيعة، وعلى طمعه غير المحدود في أملاك الجزائريين وخبراتهم، وسلبه لأعراضهم وتجريده لهويّتهم.

ثالثًا: وظائف الاغنية الشعبية الخاصّة بالثّورة:

تلعب الأغنية الشعبية دورًا هامًّا في تشكيل حياة الإنسان وعواطفه، لأنّ الإنسان جُبل منذُ الأزل على التعبير والوصف لأحاسيسه ومشاعره تجاه الحياة بوسائط الأنغام والايقاع ولهذا يُمكن اعتبار الأغنية الشعبية هي التعبير الذّاتي عن النّفس الإنسانية في البقعة المكانية المَعْنية[16] كما أنّها تعَبّرُ عن مشاعر النّاس في شتّى ألوان الحياة وصنوف العيش، وتخدم إلى حدّ بعيد الأهداف التي ترمي إليها، ولكنّ الجميل أنّ هذه الأغنيات لها معانيها الجميلة والطّريفة، كما أنّها توضّح جانبا من تقاليد المجتمع.[17]

لقد كانت أغاني الثورة أَغْزَرْ مورد في تلك الحقبة وكان لها تأثير على وجْدان هذا الشعب ونفسيته. حاولت أن تعطي وصف للمنطلقات وأسس الشخصية الجزائرية والواقع الجزائري إبّان الثورة التّحريرية، فَجعلتنا نتصوّرُ الوضع والجوّ الذي كان يسودُ في تلك المرحلة.

استطاعت القصيدة الشعرية أن تُبلّغ رسالتها في أحسن وجه رغم الظّروف الصّعبة، فمثلت الدّور الإعلامي النّاجح في وقت كانت وسائل الإعلام معدومة، فكانت تُبلّغ أخبار الثّورة إلى المواطنين، وتُشيدُ بانتصاراتها رواية لشعر الجهاد والكفاح داعية إلى الموت في سبيل الله والدّفاع عن الوطن.[18]

---

[16] – أندريه باريس، من فنون الرقص الشعبي، مجلة التُراث الشعبي، العدد الثاني عسّر، ث 54.

[17] – المرجع نفسه، ص 80.

[18] – التليّ بن شيخ، دور الشّعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830، 1954، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 432.

لقد كانت الأغنية الشعبية رسالة ذات بعد سياسي حماسي وإخباري. حيث أحتلّتْ الصَّدارة الأولى في تحريك الشعور الوطني وإيقاظه أي أنّها كانت أداة توعية ومحرّكًا للثورة.

كما تعتبر الأغنية الشعبية مصدر من مصادر كتابة التّاريخ ويؤكّد على هذا التجاني الزّواي من خلال بحثه "الغنية الفلكلورية في منطقة مسيردة" فيقول:" تقدّم الأغنية الشعبية خدمات جليلة للتاريخ فهي تُقدّم حقائق مجرّدة ووقائع ثابتة عن الثورة الجزائرية برجالها وأسلحتها وأساليب كفاحها".[19]

كما عكست لنا الأغنية أيضا دور المرأة ومساهمتها بكلّ فخر واعتزاز في الثورة الجزائرية، ولا نبالغ إذا قلنا أنّ الثورة الجزائرية عرفت مجدها بفضل المساندة المادية والمعنوية التي قامت بها المرأة وقدّمتها لأبيها، ولأخيها ولزوجها الرّجل الثوريّ وقد تَبيَّنَ لَنَا ذلك من خلال تحليلنَا للأهزوجة النسوية السّابقة.

لقد كانت المرأة الأمّ التّي أعطت للجزائر أحسن الرّجال الذين قادُوا الثورة، وكانت الأخت التي سَاندت أحسن الإخوان في المسيرة الثورية، وكانت الزّوجة الّتي غذّت أكبر أبطال هذه الثّورة.

وإضافة إلى كلّ ما سبق، يرى الأنتربولوجيون أن الأغنية الشعبية وسيلة تعليمية بجانب وظيفة التّرويح عن النّفس، فهي كثيرا ما تتناول القيم الثّقافية والأنماط السّلوكية والمعايير الثقافية المختلفة وتُشير ألنْ ميريام Alen Merriamفي كتابها عن أنتربولوجيا الموسيقى

[19] – التجاني الزّاوي، المرجع السّابق، ص 197.

Anthhopology of music إلى أنّ الأنتربولوجي يستطيع أ يتعلّم الشّيئ الكثير عن القيم الثقافية عن طريق تحليل الأغنية فالأغنية الشعبية تعبّر عن القيم[20]

وهذه القيم تتجلّى بكثرة في معظم الأغاني الخاصة بالثورة مثل: الشّجاعة، الرّجولة، الكرامة، الشّرف، الإخلاص، الوفاء، الصّبر، الحبّ وغيرها.

خاتمة:

أدّت الأغنية الشعبية دورا بارزًا في شتى مجالات الحياة، فعبّرت عن الأهداف والوقائع، وصوّرت هموم الشّعب، وآلامه وآماله وأفراحه وأقراحه. فكانت بكلماتها الجيّاشة الملتهبة سلاحًا من الأسلحة التي استعملها الشّاعر الشعبيّ، وأنشدتها الجماهير لتصوير الواقع الثوري بصدق وأمانة. لقد لعبت هذه الأغاني دورًا كبيرًا في شحذ الهمم، وبعث روح الحماس في نفوس الشعب الجزائري.

قائمة المراجع:

1. -فاروق أحمد مصطفى، الأنتربولوجيا ودراسة التّراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، 2008.
2. -التلّي بن شيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830، 1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983.
3. -التجاني الزاوي، الأغنية الفلكلورية في منطقة مسيردة، رسالة ماجستير، مكتبة وهران، 1987- 1988.

[20] – فاروق أحمد مصطفى، المرجع السابق، ص 154.

4. -عمّار يزلي، الأهازيج النسزية، رسالة ماجستير مكتبة الثقافة الشعبية تلمسان، 1990.

5. -بلعبّاس عبد القادر، أغنية الصفّ، منطقة صبرة أنموذجًا، رسالة ماجستير، مكتبة الثقافة الشعبية تلمسان، 2002- 2003.

6. -أندرية باريس من فنون الرّقص الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني عشر، دار الجاحظ، السنة العاشرة، 1979.

7. -محمّد تحريشي، رقصة الصفّ بين الفرجة والمرجع الثقافي، تراث معنوي (غير مادي) مواد، وثائق ودراسة نماذج، مركز البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية، 2004.

8. -عبد الحكيم الزبيدي، الأهازيج الشعبية في الخليج والجزيرة العربية، كانون 2، 2009.

www. NASHINI. NET/ CHITIQUES AND Reviiew/ cktique -and analyses 3976-a….v 15.html

المحاضرة الرابعة

العادات والطقوس (عادات الزواج انموذجا)

مقدمة

لا يمكن تصور قيام أي مجتمع منظم دون عادات وطقوس فالعادات الاجتماعية بإجماع علماء الاجتماع الدعائم الأولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئة اجتماعية فقي كل جماعة من الجماعات تنشا طائفة من الأفعال والممارسات والإجراءات والطرق التي يزاولها الافراد لتنظيم احوالهم والتعبير عن أفكارهم وان دور العادات في الضبط والتنظيم لا يقل شانا واثرا عن دور القوانين سلطة المجتمع المكتوبة والموضوعة فإننا نعتبر العادات سلطته غير المكتوبة ودستوره المحفوظ في الصدور ذلك الدستور الذي يوجه أفعال الناس ويسيطر عليها في جميع العصور وفي كل مراحل الثقافة المختلفة وفي كل زمن ووقت...فهي تغمر الانسان وتحيط به في كل مناسبة وفي كل معاملاته مع غيره في المجتمع، والانسان يخضع لها ويطيع اوامرها بشكل يفوق كثيرا حد التصور لهذه الحقيقة.

تعريف العادات والطقوس:

اهتم الأنتربولوجيون اهتمامًا خاصًّا بالعادات الاجتماعية على أساس أنّها تساعد في تكوين أنماط الأفعال، ونماذج الأفكار فاستخدموا هذا المصطلح على جميع مستويات التجريد، وقد اهتموا

اهتمامًا خاصًّا بالأفعال الرّوتينية اليومية للحياة والقواعد المستخدمة بطريقة نمطية، وكذا الأنماط الثقافية التي يُمكن مشاهدتها في الأفعال المتكرّرة المميّزة للكلّ الثقافي [21]

فقد اهتمّ فورتس بالظّواهر الخاصّة بالعادات واعتبراها أحد الميادين الهامّة بالأنتربولوجيا الاجتماعية والثّقافية، كما أنّه قد أوضح أنّ مهمّة الباحث الأنثروبولوجي الرّئيسية هي تسجيل الجزيئات التفصيلية الخاصّة بالعادة والسّلوك في داخل محتوى العلاقات الاجتماعية. [22]

وأكّد مالنوفسكي هذا الاتّجاه أيضًا في كتابه الجريمة والعرف في المجتمع الهّمجي واوضح أهميّة العادات ونظرة الأهالي لها بكلّ احترام. كما أشار أيضًا عند دراسة لسكّان جزر التروبرياند إلى الحياة والنّظام اليومي. والنّشاط الكامل فنيّة بذلك الذهان إلى اهميّة الملاحظة المباشرة ودور العادة في وجود سلسلة من المعاملات الاجتماعية. وأعطت روث بنديكت R.BENDICT اهميّة عظمى للعادة بالنسبة للمواقف التي تحتاج للخبرة واعتبرتها عبارة عن " عدسة " لا يستطيع الإنسان أن يرى بدونها. [23]

صفات العادات الاجتماعية:

ّا العادات الاجتماعية مظاهرها اجتماعية وتمثل أسلوب اجتماعيا بمعنى أنّه لا يمكن أن تتكوّن وتمارس إلاّ في مجتمع ومن خلال التفاعل مع أفراده وجماعاته.

---

[21] فاروق أحمد مصطفى، الأنتربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص 76 - المرجع نفسه ص 77 (نقلاً عن- Mitcheld .G.ed Dictionary of sociology Routledge

[22] Kegan Paul London, 1968, p 51

[23] Malinowski B. Angonauts of the Western pacific, فاروق احمد مصطفى المرجع السابق ص 77 (نقلاً -

والعادات الاجتماعية لها قيمة معيارية بمعنى أنّها تتطلب الامتثال الجماعي والقبول والموافقة الاجتماعية (الجماعية) التي قد تصل في بعض الأحيان إلى الطّاعة المطلقة وتتوقف العادات الاجتماعية على ظروف المجتمع، فهي تختلف بحسب المجتمعات وبحسب الأزمنة المختلفة. [24]

وقد تمارس العادات الاجتماعية على نطاق شعبي كبير، فتصبح لتكرار الدّائم عادات شعبية أو أساليب وطرائق شعبية على حدّ تعبير سمنر Sumner والذي يرى أنّ لها قوّة مجتمعية أو قوّة على مستوى المجتمع كله.

ويحدّد سمنر خصائص أربعة للأساليب الشعبية وهي قوّة الالزام، وعمومية شمول هذه الأساليب، والجزاءات التي توقع على من يخرج عن الأساليب الشعبية، كما أنّ لها صفة الاستمرار.

إنّ العادات الاجتماعية لها وجوها كحقيقة ملموسة في كلّ جوانب الحياة اليومية، فهي كلّ سلوك متكرّر مكتسب اجتماعيا ويتم تعليمه وممارسه اجتماعيًا حيث ترتضيه الجماعة وتفرضه على أعضائها وعندما يستمرّ استعمال العادات الاجتماعية لفترات طويلة تصبح تقليدًا، فالتقاليد هي المحاكاة لسلوك القدامى والمتوازي عنهم، والتّقاليد أيضًا تنتقل وتورث من جيل إلى جيل، كما تمدّنا بمجموعة من الأنماط السلوكية المعدّة والجاهزة من قبل لكي تتّبعها حتّى تستطيع تحقيق الحاجات الأساسية كما أنّها ترسم لنا الأساليب والتّصرفات التي تتحُ التعاون والتّفاعل، والتكيّف في المواقف المختلفة، ومهما كانت أهمّية التّقاليد إلاّ أنّه لا يُمكن أن نغفل سيطرتها وطغيانها على

---

[24] Malinowski B. Angonauts of the Western pacific, Routledge, Kegan Paul, London, 1956, p 18. فاروق احمد مصطفى المرجع السابق ص 77 (نقلاً

حياة النّاس فهي تُقيّد سلوكهم وتتدخل في كلّ أنواع النّشاط المتبادل بينهم وتُمارس ضغطا قد يصعب على البعض التخلص منها. [25]

تقديس العادات:

ان توارث العادات التقليدية من جيل إلى جيل يضفي عليها احترامًا وقدسية يزيدان من تثبيتها ورسوخها واستقرارها. وكلّما استقرّت بالتّوارث وبتقدّم الزمن، أصبحت أقوى في سيطرتها وإلزامها لأفراد الجماعة إذ يتكوّن عندهم الاعتقاد بأنّ هذه العادات هي السّلوك الصّابب السليم الّذي تمّ اختياره بمحك التّجريب والخبرة العملية وبعد أن ثبت صلاحية بالممارسة الفعلية للأسلاف والأجواد ولذا يجب أن يتمسّكُوا بها. وهذا يتبيّن لنا عندما نسأل أفراد جماعة مَا وخاصّة في الجماعات البدائية المنعزلة عن تيّار الحضارة أو الجماعات الرّيفية النّائية والمنعزلة عن المكنن: لماذا يسلكون سُلوكًا تقليديًا معيّنًا؟ فإنّهم يُجيبون بأنّ " ذلك ما وجدنا عليه آباءنا" أو لأنّ أجدادنا كانُوا به متمسّكين، بل إنّهم كثيرا ما يذهبون إلى أبعد من هنا فيصحون عن أنّ مخالفة العادات تصلب الشؤم والنّحس والضزّر على المخالف وعلى الجماعة. [26]

إنّ مسايرتنا للعادات واستمرار تمسكنا بها، تتخلّص في نظر " تونيس" في أنّها تأتينا من أسلافنا الّذين أثبتُوا بالحكمة والتّجربة الواسعة أنّها نافعة ومفيدة وصائبة وسليمة، وإذن فهي بالتّالي ضرورية لنا ولحياتنا. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فنحنُ ملزمون بطاعتها، لأنّ طبيعة تمجيدنا لأجدادنا تجعلنا نُمجّد أيضًا عاداتهم الّتي انحدرت إلينا ونتمسّك به.[27]

---

[25] Rohden , R, Peter , « Tradution » in Encyclopedia of the Social science Vol, 13 pp, 62-65.) فاروق أحمد مصطفى، المرجع السابق ص 79 (نقلاً عن -

[26] فوزية دياب القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة للطباعة و النشر بيروت 1980، ص 153

[27] المرجع نفسه، ص 157

الطقوس جمع كلمة طقس (Rite) مشتقة من الكلمة اللاّتينية Ritus وهي عبارة تعني عادات وتقاليد مجتمع معيّن كما تعني كلّ أنواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإجار التجريبي. [28]

وتكمن دعوة الطقس في إثبات استمرارية الحدث التاريخي الشهير. فالطّقس يميلُ أساسًا من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تُثبّتهُ إلى تكريس ديمومة الحدث الشهير. فالطقس يميل أساسيًا من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تُثبّته إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري الذي أوجده فهو استنادًا إلى ذلك إعادة خلق وتحيين لماضي غامض غالبًا لكنه يأخذ معناه عند الدين يستخدمونه على انّه فعل ديني. [29]

ولقد تنوّعت وتعدّدت التعريفات الخاصّة بالشعائر والطّقوس، ويعرّف إيموند ليتشُ (EDMUND Leach) الشعائر بأنّها أيّ تعبير عن أيّ شكل من الأشكال الثقافية الموجودة في المجتمع. [30]

ونرى بول فريديريتش (P.Fhiednich)أنّ الشعائر هي مجموعة الاحتفالات الثقافية المحددة المتكرّرة، أي هي مجموعة من الأفعال المرتبطة بالقوّة الخارقة للطّبيعة، أو بالسّلطة أو بأشخاص مجرّدين أو بأفكار وأنساق معيّنة. [31]

---

[28] نور الدين طوالبي الدّين والطّقوس والتغيّرات تزوجيه البعيني، منشورات عويدات، بيروت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988 - ص 37

[29] .نور الدين طوالبي المرجع السابق، ص 38

[30] مرفت العشماوي- دورة الحياة دراسة للعادات والتقاليد الشعبية عثمان العشماوي- دار المعرفة الجامعية، مصر 2011 ص 26 (نقلا عن Edmund Leach political systems of Highland Burma Harvard University press. U.S.R . p 4.)

[31] مرفت العشماوي المرجع السابق، ص 27 (نقلا عن Paul P Friedrich , « revolutionary and communal ritual » in marc swantz and Victor W. turner (ed) , 1966. Political Anthropology , Adline Publishing company, Chicago, p 192.)

ويرى فيرث انّ الكثير من العلماء قد حاول التمييز بين الطّقس والشعيرة، ولكن التّفرقة بينهما تعتبر عملية صعبة وعقيمَة وجافة وعديمة الجدوّى. [32]

فالشعائر إذًا هي نمط من الأفعال المحدّدة المصاحبة للأنساق الثقافية المتكرّرة السائدة في المجتمع، وإذا كانت الشعيرة هي وحدة التعبير الرّمزي عن القيم والاتّجاهات والعواطف السّائدة في المجتمع فإنّ الطّقوس هي مجموعة مركّبة من الشعائر المرتبطة بأيّ مناسبة من المناسبات الاجتماعية على نحو ما ذكر تايلور، وغنّ التفرقة بين الطقوس والشعائر هي في الواقع مسألة صعبة وعقيمة كما ذكر ريموند فيرث. [33]

ولقد ميّز علماء النتربولوجيا بين بعض الطقوس منها طقوس العبور او الانتقال Rites of passage وهذا النّوع من الشعائر ينفذ إلى المشكلات الحياتية لأفراد المجتمع، والنّوع الآخر بحيث خلال الأزمات المجتمعية فيعمل على توحيد أفراد المجتمع معًا.[34]

وترتبط طقوس العبور أو الانتقال بالأحداث غير الدورية أي أنّها تهتّم بالمشكلات الحياتية للأفراد وهي المشكلات التي تؤثّر على النّسق القرابي والعائلي وتؤدّي بالتّالي إلى حدوث تغيّرات جوهرية تؤثّر على النّسق القرابي والعائلي وتؤدي بالتالي إلى حدوث تغيّرات جوهرية تؤثّر على معدّلات التّفاعل داخل هذا النّسق كما هو الحال بالنسبة لحالات الميلاد والبلوغ والزواج والوفاة. ومن أهّم ملامح هذه الطقوس أنّها تؤثر على الفرد بصفة خاصة كما أنّها تؤثر على بقية أعضاء الجماعة التي يدخل معها في علاقات اجتماعية.[35]

---

[32] مرفت العشماوي المرجع السابق، ص 28.
[33] المرجع نفسه، ص 28 -
[34] مرفت العشماوي، المرجع السابق، ص 31
[35] مرفت العشماوي، المرجع السابق، ص 31

أمّا طقوس التعضيد ترتبط بدورة الحياة المجتمعية أي بالأحداث التي تحدث بصفة منتظمة ومتكرّرة في المجتمع مثل تعاقب اللّيل والنّهار والفصول والاحتفالات والأعياد السنوية، كما ترتبط أيضا بأزمات المجتمع وبالمشكلات التي يتعرّض لها كالمجاعات والأوبئة وعدم سقوط الأمطار. وتستوجب تلك الأزمات القيام بشعائر جماعية لاستعطاف القوى فوق الطبيعية لمساندتهم للتخلص من تلك الأزمة أو المشكلة.[36]

وظائف الشعائر والطّقوس:

الاشتراك في ممارسة الشعائر يعني الاشتراك في قيم المجتمع، والاشتراك في تراث الأجيال. والإحساس بالاستمرارية أو الدّيمومة في الشعائر أمر على جانب كبير من الأهمية، فحينما يقوم باحث الأنتربولوجيا بسؤال سكان المجتمعات البسيطة عن سبب قيامهم بتلك الشعائر فغنّهم يقولون أنّ أسلافهم كانوا يقومون بها. ولم يتّضح بعد ما إذا كانت الشعائر توجد وتستمّر في الوجود تكرارها المستمرّ والقيام بها بصفة منتظمة، أم لأنّها تشبع حاجة لدى المشتركين فيها.

وللشعائر والطقوس وظائف كثيرة منها: أنّها تعمل على تثبيت وتأكيد القيم، ولقد ظهر ذلك من خلال التعريفات المتحددة للشعائر، كما يظهر أيضًا من خلال الاحتفالات الشعائرية كالاحتفال بعقد القران مثلاً الذي يضمن ترديد بعض العبارات أو الخطب والتي تُشيرُ بدورها إلى قيم الجماعة من خلال أنواع مألوفة من التعليمات والمبادئ ومن ثمّ يظهر مدى الاهتمام بالتفاف حول قيمهم.

[36] مرفت العشماوي، المرجع السابق، ص 31

كما تعمل الشعائر على إمداد الأعضاء المشتركين فيها ببعض أساليب ووسائل الضبط الاجتماعي حيث أنّها تُحدّد طبيعة علاقاتهم بالآخرين، وبالعالم المحيط بهم، وتحدّد أيضًا علاقاتهم بالقوى فوق الطبيعة. كما أنّها تُتبّه المشتركون فيها لما يجب أن يقوموا به من أنماط سلوكية، كما أنّها أحيانًا تُمجّد وتمدح سلوكهم واتّجاهاتهم الصّحيحة وبذلك تعمل على تحقيق الضّبط الاجتماعي.

وتهدف الطقوس أيضًا إلى العمل على تقوية الرّوابط الاجتماعية من ناحية كما أنّها تُساعد على التخلّص من التوتّر والاضراب من ناحية ثابتة. حيث تعمل على مدّ الأفراد بالشعور بالطمأنينة والأمان، وتُساعدهم على مواجهة الاضطرابات النفسية التي يُجابهونها من خلال أحداث الحياة اليومية. فالشعائر السحرية تُريحُ الفرد لأنّها تُشعر بأنه يقوم بشيء ما للتغلب على مشكلته.

كما تعمل الطّقوس أيضًا على حفظ التّوازن (سوء بالنّسبة للفرد أو المجتمع) وتحقيق الثبات في مواجهة الاضطرابات الكامنة، أو التكيف مع تلك الاضطرابات. فطقوس العبور تهدف إلى تثبيت أعضاء المجتمع وتقويتهم أثناء تلك الأوقات الانفعالية.

فان جنب وشعائر المرور:

أرنولد فان جنب (Arnold van genneep) هو عالم الفلكلور الهولندي الفرنسي الذي وضع نظريته الشهيرة عن شعائر المرور أو شعائر الانتقال، والذي طال إغفاله وتجاهله أثناء حياته ولم يلتفت إليه العالم إلاّ بعد موته بزمن طويل.

ويذكر فان جنب في كتابه شعائر العبور the rites of passage والّذي ظهر في ديسمبر عام 1908 أنّ حياة أيّ فرد من الأفراد داخل أيّ مجتمع من المجتمعات هي عبارة عن سلسلة

من الإنتقل والعبور من مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى، ومن منصب ومكانة إلى منصب ومكانة أخرى.

ويرى فان جنب أنّ الانتقال من جماعة إلى أخرى يصاحبه بعض الأفعال المعينة كما هو الحال بالنسبة للمهن المختلفة، حيث يتمّ الحصول على فترات تدريبية من اجل التدرّج والترقي والحصول على مركز أفضل ويظهر هذا في المجتمع الغربي الحديث. أمّا بالنسبة للمجتمعات شبه المتحضّرة فنجد أنّ نمط الأفعال هذا يتّخذ صورة الطّقوس حيث أنّ عقلية سكان تلك المجتمعات تعتبر أيّ فعل من الأفعال لا يكاد يخلو من جانب القداسة.[37]

ونلاحظ في تلك المجتمعات أيضا أنّ أيّ تغيّر في حياة الفرد يتضمّن الأفعال وردود الأفعال التي تتراوح بين القداسة والطّهارة منها تنظيم وحفظ المجتمع ككل وذلك حتّى لا يتعرّض للاضطراب نتيجة للأزمات التي يمرّ بها أعضاؤه.

ويرى فان جنب أنّ العبور والانتقال يجب أن يتمّ بين فئة أو تصنيف أو مكانة إلى تصنيف آخر، والانتقال لا يعني انتهاء المكانة أو التّصنيف، إنّما يبقى التصنيف أو المركز قائمًا بذاته ويطرأ التحوّل والتغيّر على الأفراد. وعملية الانتقال نفسها من الممكن أن تصنّف بصورة رمزية، وغنّ عبور الأفراد من مكانة إلى أخرى، وأساليب العبور الرمزية تختلف باختلاف المجتمعات الموجودة في العالم.[38]

ولقد حاول فان جنب في كتابة شعائر المرور دراسة الأنماط الطّقوسة في علاقتها ببعضها البعض، كما حاول أيضًا القيام بجمع كلّ الأنماط الطّقوسية التي تصاحب الانتقال والتحول من

Arnold van genneep Rites of passage p 2, 3. مرفت العشماوي ص 34 (نقلاً -

[37].المرجع نفسه ص 36 -

المرجع نفسه ص [38]37

مكانة اجتماعية لأخرى او من حالة لأخرى وذلك لأهمية هذا الانتقال من ناحية، ولأنّ شعائر المرور يجب أن ينظر إليها كتصنيف خاصّ قائم بذاته يمكن أن تقسم وتُحلّل إلى شعائر الانفصال والشعائر الهامشية وشعائر الاندماج أو الدخول أو التجميع. [39]

فشعائر الانفصال مثلاً ترتبط بالمرحلة الأولى وهي مرحلة الانفصال بالنسبة للفرد، وهي تتضمّن انفصال في التفاعل بين الفرد والجماعة التي كان يتفاعل معها. ففي بعض طقوس الزواج يقوم أقارب وأصدقاء العريس بالتوجه إلى منزل عائلة العروس ويقومون باصطحاب العروس بالقوة كتعبير عن انفصالها عن جماعتها القرابية. [40]

أمّا الشعائر الهامشة وهي ترتبط بالمرحلة الثانية وهي نوع من الإعداد الرسمي للدور أو الوضع الجديد، ويطلق على هذه المرحلة أيضًا مرحلة الاستهلال حيث يكون الفرد لا داخل ولا خارج مرحلة محدّدة أو كما أطلق عليها Vitruner " بين بين ". [41]

ويحاول الفرد أثناء تلك الفترة إعداد نفسه للتفاعل مع نسق علاقاته الجديد حيث أنّه لم يندمج ولم يلتحم بعد بعلاقاته ومكاناته الجديدة وتختلف مدّة هذه الفترة حسب المجتمع نفسه فيتراوح طولها في المجتمع الحديث بين عطلة نهاية الأسبوع أو شهر العسل للعروسين، وقد تصل في سبعة أشهر كما هو الحال بالنسبة للتعليمات التي تُلقّن خلال طقوس الرّهنية في معتقد Legba في داهومى حيث تعتبر فترة لا يتفاعل فيها الفرد بعد داخل نسقه الجديد (الرهينة). [42]

---

[39] Arnold van Genneep Rites of passage p 10, 11)

[40] المرجع نفسه ص 38

[41] فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي، دراسات في التراث الشعبي دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2013 ص5 -.

[42] المرجع نفسه ص 35 (نقلاً عن - Main , Lucy Antropology and development , Macmillan press London, p 43)

والمرحلة الهامشية المرتبطة بالزواج تتمثل في الخطبة وهي الفترة التي تسبق عقد الزّواج بصفة رسمية وهي في الواقع المرحلة التحضيرية أو الإنشائية لتوثيق العلاقات بين أسرتي الزّوج والزّوجة ووضع أسس الحياة الزوجية وهي مرحلة مرنة وخطوة لأنّ الكثير يظنّون أنّ وظيفة هذه المرحلة مقصورة على بلوغ الهدف الأسمى هو عقد الزوج، لذلك يخرج المتصاهرون على مألوف عادتهم ويتظاهرون بما ليس في وسعهم ومقدرتهم. ويسيطر على مشاعر الأفراد في هذه المرحلة السلوك التقديري وتقوم العلاقات على الجذر المتبادل الذي قد يصل إلى درجة التشكك وهذه الأمور تسيئ إلى نظام الأسرة متى تكوّنت بصفة رسمية لاسيما عندما تنكشف الأمور على حقيقتها ويتّضح للزوجين واقع الأمر وكثيرا ما تنفكّ الخطوبة ويصبح الطرفان في حلّ من ارتباط المبدئي دون أن يترتّب على ذلك أيّة إجراءات شرعية. [43]

وما يتعلّق بشعائر الاندماج وهي المرحلة الثالثة يتمثّل في تفاعل الفرد مرة أخرى مع أعضاء جماعية ومجتمعه كعضو داخل التنظيم الجديد الّذي يحتلّ دورًا داخله. وفي هذه المرحلة يكون العبور أو الانتقال قد تمّ، ويكون الفرد قد انتقل إلى المكانة الجديدة بكلّ التزاماتها وحقوقها واخذ صاحبها في القيام بمهامه بأسلوب محدّد.

فاروق أحمد مصطفى، مرفت العشماوي، دراسات في التراث الشعبي ص 35 نقلا عن Dismore , and coon, Carleton Stevens, 1947, Principles of anthropology ,

Henry Holt and company , N.Y , p 484) [43]

المحاضرة الخامسة

نموذج عن العادات والطقوس

عادات وطقوس الزواج انموذجا

تختلف عادات وطقوس الزواج باختلاف المجتمعات في أشكاله، وعادات الاحتفال به بطرق يقرّها المجتمع، ويفرضها على أفراده، وترتكز هذه الاختلافات على القيم السّائدة التّي تميّز الطّابع المحلّي لثقافة ما عن الثّقافات الأخرى. ويرتبط بالزواج طقوس يسميّها فان جنب" بطقوس المرور أو العبور أو الانتقال. فالتحوّل والانتقال من جماعة لأخرى ومن مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى (كانتقال الفرد من مرحلة العزوبية إلى مرحلة الزّواج) تتطلبّ القيام ببعض الطّقوس والشعائر، والتي تهدف إلى مساعدة الأفراد على عملية الانتقال. والانتقال من ادوار (العزوبة) إلى ادوار الزواج يتضمن نوعا من الاحتفال، ويعتبر هذا الاحتفال الذي يكون جزءا من النسق الاجتماعي أمرا شائعا في جميع المجتمعات وإن اختلفت صوره وأشكاله. وتتنوع أنماط الزواج منها الداخلي أو ما يسمى بزواج الأقارب وهو أمر مستحب وميسر للمعرفة بالأصل وتقارب المستويات الاجتماعية وإبقاء على مستويات الأسرة، والزواج الخارجي الذي يؤدي هو الآخر إلى تدعيم الجماعات القرابية عن طريق توسيع دائرة قرابتها بالمصاهرة من جماعات أخرى مع ما يصاحب هذه العلاقات الزوجية من مصالح وروابط اقتصادية واجتماعية كثيرة ومتنوعة.

الاختيار الزواجي:

تبدأ الخطبة بمرحلة هامشية تمهيدية تظهر بداية في الاختيار الزواجي وتقوم فكرة الاختيار الزواجي على سؤالين. من الذي يختار؟ ومن الذي يقع عليه الاختيار؟

الاختيار الأسري

جرت العادة أن يتجنّب الحديث مع الأبناء، فيما يتعلّق بأمور الزّواج عند العائلات المحافظة، فالاختيار يكون من اختصاص الأولياء، وما على الأبناء والبنات إلاّ الطّاعة وذلك خشية من النّتيجة السيّئة التي ستلحق بهم، إذا لم يأخذوا برأي ورضا الوالدين.

الاختيار الشخصي

ويلاحظ وجود نمط آخر من أنواع الاختيار عند الإقدام على الزواج ألا وهو الاختيار الفردي الحر وهو «أن ينتقي الشخص شريكته بمقاييسه، ورغباته، وإرادته.»

فقد يرى الأبناء أنه باختيارهم الفردي للشريك والمبني على العاطفة المتبادلة سوف يضمنون التّوازن في حياتهم الزوجيّة المقبلة.

فالتغير إذا كان نتيجة لظروف اقتصادية واجتماعية قد أتاح للأبناء إمكانية الاستقلال المادي عن أبنائهم وبالتالي أتاح لهم فرصا للاختيار دون الرجوع بصورة إجبارية إلى والديهم

ويلاحظ أنّه حاليا يغلب اختيار الفرد لشريكة حياته بنفسه على الاختيار الأسري (الأولياء) وظهور هذا النمط من الاختيار لا يلغي النمط الأول وهو النمط العائلي، بل إنه يظل سائدا في كثير من البيئات خاصّة في المجتمعات الريفية. وحتى إذا كان الفرد يختار بنفسه شريك

حياتـه لا يـمكن أن يغفل الاعتبارات الاجتماعية والثقافية لأن «الزواج نظام يحقق أهـدافـا اجتماعية وثقـافية واقـتـصاديـة بجانب الأهداف الخاصّة أو الشـخـصيّـة»[44]

وقد يرجع الإقدام بـكثرة على الاختيار الشخصي أثناء الزّواج إلـى: تطّـور المجتمع بما فيه من التـفـتّـح عند العائلة على المجتمعات الأخرى وتحوّلـهـا من ممتدّة إلى نوويّة (مستقلة). ممّا أدى إلى تحرّر الابن من سيطرة أبيه، ليتولّى هذه المهمة بنفسـه، وخروج الـفـتـاة إلـى العـمـل والـدّراسة أتاح لـهـا الـفـرصة للاختلاط والـتـعـارف، زيـادة عـلى ذلك يبـقـى التمسك بالدّيـن الإسلامي الذي ينص على أخذ الرأي وتراضي الطّـرفين لإتـمـام مـشروع الزّواج. وكـأن الـرّجـوع إلى الأهل ما هو إلا مباركة للمـجتمع على هـذا الاختيار.

وبـنـاء عـلـى هـذا يمكن القول إن سلطة الأسرة في المجتمع الجزائري قـد ضـعـفـت فـي مـجـال اختـيار العروس، إذ أصـبح الاختـيار الـفردي يـحل محل الـنّمط الأول (الاختـيار الـعائلي) مسـانـدا مـشورة الأولياء إضافة إلى أنّ الابن يحتاج المساعدة المادية التي تقدمها له أسرته قبل وأثناء الزفاف.

أنـــواع الـــزّواج:

إضـافـة إلـى نـوع اخـتـيار الـزوج، فـالـزواج فـي تلمسان يكون داخليا كما يكون خارجيا. و الزواج الداخلي هـو أحسن فرص الزواج و أكثر استمرارية عند الكثير من العائلات التلمسانية و العربية عامة، و بالأخص الزواج من «بنت العم» أو «بنت الخال».

[44].علاء الدين كفافي – المرجع السّابق –ص 422

ولعل من أسباب هذا النجاح، هو أن هذا النوع من الزواج يكون مأمون السلوك، فضلا عن أنه لا يكلف الراغب في الزواج البحث عن نسب الفتاة وحسبها، كما قد يكون الإقدام على هذا الزّواج بدافع الحفاظ على الملكية أي تأكيد بقاء الإرث داخل مجموعة القرابة.[45]

كما قد يكون هذا الزّواج رغبة في التماسك العائلي، والاعتداد بالعصبيّة الأسريّة، فكثيرا ما ترى بعض العائلات نفسها أرقى من غيرها، مما يجعلها تخشى اختلاط التقاليد، والعادات عند الزواج من خلال العائلة، مما يعني عدم وجود مكانة للغريب بينها، وهذا ما يشجعها على التشبّث بالزواج الدّاخلي.[46]

وإذا كان الزّواج الدّاخلي هو، الذّي «يحافظ على تماسك الوحدة القرابية أيا كانت (أسرة، عضدا، بطنا، عشيرة...)، وتدعيمها من طرف المصاهرة بذوي القربى مع ما في هذه المصاهرة من حفاظ على ثروة الوحدة القرابية من أن تبدد بانتقالها من النسب إلى وحدات في حالة الزواج الخارجي. فإنّه يؤّدي هو الآخر إلى تدعيم الجماعات القرابية عن طريق توسع دائرة قرابتها بالمصاهرة من جماعات أخرى جديدة مع ما يصحب هذه العلاقات الزوجية من مصالح، وروابط اقتصادية واجتماعية كثيرة ومتنوّعة.[47]

بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ البحوث العلمية تؤكد أنّ كثيرا ما ينتج عن الزواج من القريبة (الزواج الداخلي) عاهات وأمراض وراثية. [48]

وهذا ما جعل الناس - وخصوصا فئة المتعلمين-يتخلون عن هذا النوع من الزواج فالتعليم إذا يلعب دورا هاما في التغيير الاجتماعي فهو أداة للتغيير المناسب عبر الأجيال للأفراد والجماعات.

---

[45] محمد رياض – الإنسان دراسة في النوع و الحضارة – دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت – ص ( )

[46].فوزية دياب – المرجع السابق– ص151

[47].فوزية دياب – المرجع السابق– ص151

[48]Domart(A)-Encyclopedie Medicale Imp –Herisseyet-Jombart –Paris-1981-p260للتوسع انظر

الخطبة الرسمية:

الخطبة هي الفترة الّتي تسبق عقد الزّواج بصفة رسمية وهي في الواقع المرحلة التحضيرية لتوثيق العلاقات بين أسرتي الزّوج والزّوجة ووضع أُسس الحياة الزوجية. ويعتبر فان جنب Van Gennep أنّ الفترة السّابقة على الزّواج والّتي يسمّيها بفترة الخطبة هي فترة هامشية انتقالية تمهيدية.

ليلة الحناء:

لتخضيب العروس والعريس في هذه الليلة معان كثيرة، وهي تحمل في مضمونها كثيرا من المدلولات الاجتماعية والثقافية والنفسية على حدّ سواء، إذ يُفرض على كلّ مجتمع إنساني عند الانتقال إلى مرحلة أو مكانة، القيام ببعض الشعائر والطقوس باعتبارها علامات وإشارات لها وظائف خاصّة بها، حيث يقول cassiner " إنّ قيمة العلامات والإشارات ليست فيمَا تُمثّل، ولكن فيما تتعدّاه، فكلّ إشارة، وكلّ علامة تحملُ في مضمونها معنى معيّن يكون هدفها الأوّل والأخير توصيلها للآخرين. وإذا كان فان جنب يطلق على هذا النّوع من الشعائر والطقوس شعائر المرور أو الانتقال " فإنّ بعض الباحثين يُطلقون عليها أزمة الحياة" " Life crisis-rituals" لأنّها تُميّز المراحل الحرجة في حياة الأفراد.

وتعتبر هذه الشعائر علامة تدلُّ على انطلاق الأفراد من مرحلة إلى مرحلة ثانية، وتتطلب ممارسة هذه الشّعائر استخدام مجموعة متنّوعة من المواد والأشياء أو المكونات الضّرورية والمناسبة لإقامتها مثلا الحناء والماء الفاتر، والقليل من السكر كونه رمز للحلاوة، وتخليط الكل ثم وضع قطعة من الذهب في صحن الحناء. وتجدر هنا الإشارة إلى ان للذهب أيضا رموزا كثيرة في اعتقاد الأهالي من بينها النقاء، والصفاء، والديمومة. أي ان حياة الزوجين ستبقى صافية مثلما

يبقى الذهب صافيا ودائما. إضافة إلى هذا نجد ان عادات تلمسان تفرض على الشخصية (التي تقوم بهذا الدور أي ربط الحناء) أن تكون سعيدة في حياتها، وغير مطلقة لان ذلك سينعكس على حياة العروسين..

لقد اهتمّ الجزائريون بالاحتفال بليلة الحنّاء بوصفها علامة وميزة تحمل في بنيتها وظائف منها ما هي ظاهرة كالزينة وتلطيف البشرة وصباغة الشعر، وهذا يُضفي على ليلة الدّخلة شيئًا من الجاذبية والإثارة. ومنها ما هي كامنة كطرد الأرواح الشريرة ودرء الحسد والتطهر والوفاء والحنان. فالحناء في اعتقادهم تعمل على غرس العواطف النبيلة في النّفس ودليلهم على ذلك أنّ تسميتها مأخوذة من كلمة حنان " بَاشْ ربّي يْحَنّْ عليهُم".

الزفاف:

ثم يأتي الزفاف وهو يوم الاحتفال، حيث يعتبر الاحتفال بالزواج بما يحتويه من عادات، وطقوس وشعائر كأنه مشهد أو عرض مسرحي أو استعراض عائلي يزخر بالكثير من العلامات والإشارات التي تحمل العديد من الدلالات التي تكتمل بها العلامة الكبرى للعرض. فإن هذا العرض يتطلب وجود فضاء، وهذا الفضاء يستدعي مشاركة كل الحواس ويضطرنا إلى إعطاء أهمية بالغة للأوصاف المحسوسة (مرئية، لمسية، حركية، صوتية). كما يستلزم هذا المشهد وجود الشخصيات التي تتحرك في ذلك الفضاء مع تحديد الأدوار التي تقوم بها

ارتبط الاحتفال بالإنسان وبالطقوس والشعائر الدينية منذ القدم، وتمثل هذه الطقوس فعل يقوم على استحضار حالة من الماضي (أسطورة أو حادثة أو خرافة) والتعامل معها كواقعة، وهي ممارسة اجتماعية تحمل دلالات المشاركة. ويتم هذا الاحتفال الطقوسي في الفضاء الواسع، الذي يطلق عليه البعض "بفضاء الاحتفال ".

الاحتفال بالزواج عبارة عن مشهد أو استعراض مسرحي يعكس نوعا من الممارسات الشعبية . وهي كلها عبارة عن إشارات ورموز، تبلورت حول قيم ومعان وأحداث لا يمكن للأفراد التخلي عنها. بل يقومون بترجمتها وإعادتها وتكرارها ونقلها من التجريد إلى الواقع. كما تبين لنا أيضا أن تلك الطقوس والشعائر، تؤثر في الأفراد فتجعلهم يتجاوبون عاطفيا مع ما تتضمنه من أفكار وما تثيره من صور ذهنية. والغريب في هذا الأمر أن هذا التأثير العاطفي في الأفراد يحدث بطريقة مبهمة تعلو على التحليل. بحيث يجد الأهالي في الاحتفال بالزفاف فرصة للتقارب، والتماسك الاجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى فرصة لإثبات الذات الجماعية وإثبات الهوية الثقافية